

مبدأ الثنائية

في الفكر الإسلامي

د. منى سعد أحمد سراج الدين

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية بنات القاهرة جامعة الأزهر

مبدأ الثنائية في الفكر الإسلامي

د منى سعد احمد سراج الدين

قسم العقيدة والفلسفة، شعبة أصول الدين ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات القاهرة، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:dr.monaserag@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان مبدأ هام فى الفكر الإسلامي ، وهو مبدأ الثنائية ، وأعنى بها زوجية المبادئ المفسرة للكون ،ولقد اتبعت فيه المنهج الإحصائي لآيات الله الكريمة التي تحدثت عن الثنائية ، ثم المنهج التحليلي لهذه المبادئ ، ولقد اتخذت من آيات الذكر الحكيم المرجعية الأولى لهذا البحث لكى لا يلتبس الأمر على القارئ لا سيما وجود فلسفات واديان تدعو بالقول بالثنائية كالثنوية مثلا القائلين باله الخير واله الشر وكالمجوس القائلين بأن فاعل الخير (يزدان) وفاعل الشر أهرمن ، وبحثت فيه عن القضايا المتقابلات الثنائيات كالمعقول والمحسوس ، الخير ، الشر ، التحسين والتقبيح ، المعقول والمنقول .

وكان من أهم نتائج البحث ما يلي :

١- القرآن الكريم مصدرا أساسيا لتقرير مبدأ الثنائية في الكون .

٢- الثنائية واحدة من المسالك الدالة على وحدانية الله .

٣- معظم القضايا الكبرى في الفكر الإسلامي ، قضايا ثنائية كالوجود والعدم ، العلة والمعلول، الوحدة والكثرة ، الخير والشر ، التحسين والتقبيح ، المعقول والمنقول الخ .

الكلمات المفتاحية : الثنائية، زوجية المبادئ، العلة والمعلول، الدال والمدلول.

The principle of Dualism in the Islamic Thought

Mona Saad Ahmad Siraj Al-Deen

Faculty of Islamic and Arabic Studies, Women's branch, Al-Azhar University.

Email: dr.monaserag@azhar.edu.eg

Abstract:

The present study aims at explaining the principle of dualism which is an important principle in the Islamic thought. Dualism means the duality of the principles which interpret the universe. The study adopts the statistical approach. It counts the verses of Quran that refer to dualism. The study also adopts the analytical approach as it analyzes these principles. The first and fundamental base for this research is the verses of the Quran so as to avoid ambiguities since there are philosophies and religions that believe in duality, for example, the philosophical school of thought (dualism) which advocates that there is a god of goodness and a god of evil, the Magi which say that the doer of good is called ‘Ezdan’ and the doer of evil is called ‘Ahriman’. The study deals with the pairs of opposites, e.g. the rational vs. the material; good vs. evil; beautify vs. uglify; the rational and the quoted. The study arrives at some important conclusions as follows. First, the Holy Quran is an essential source to show the principle of duality in the universe. Second, dualism is one of the ways showing the oneness of Allah. Most of the key issues in Islamic thought are of dual nature, e.g. existence and pre-existance of Allah; cause and effect; the rational vs. the material; good vs. evil; beautify vs. uglify; etc.

Key words

Dualism, duality of principles, cause and effect, signifier and signified.

مقدمـــــــــــة

سبحان الذى وهبنا الوجود بعد العدم، وسخر لنا الليل والنهار، وسخر لنا الشمس والقمر، والحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وصلى الله على أشرف من اجتباه، وعلى من صاحبه ووالاه، وسلم تسليماً لا يدرك منتهاه.

وبعد، يهدف هذا البحث إلى بيان مبدأ هام فى الفكر الإسلامى، ألا وهو مبدأ الثنائية، والثنائى من الأشياء ما كان ذا شقين، والثنائية هى القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، وهذه الزوجية تعرف فى علم المنطق بتقابل الحدود وهو على أربعة أقسام: فهو إما تقابل السلب والإيجاب مثل: الشعور واللاشعور، وإما تقابل المتضايفين مثل: الأبوة والبنوة، وإما تقابل الضدين مثل: السواد والبياض، وإما تقابل العدم والملكة مثل: العمى للبصر.

ومما دعانى للبحث فى هذه المتقابلات هو القرآن المجيد نفسه، فقد تحدث عنها فى كثير من المواضع القرآنية، كما أننا نجد بعض الثنائيات المتقابلات من أسماء السور القرآنية: كالمؤمنون والكافرون، الجن والناس، الشمس والقمر، هذا فضلاً عن أن هناك سورة قرآنية مليئة بالمتقابلات مثل سورة فاطر وذلك مثل: السموات والأرض/ الذين كفروا والذين آمنوا/ السئ والحسن/ يضل ويهدى/ الموت والحياة/ عذب ومالح/ ليل ونهار/ الشمس والقمر/ الفقر والغنى/ يذهب ويأتى/ الأعمى والبصير/ الظلمات والنور/ الظل والحرور/ الأحياء والأموات/ سراً وعلانية.

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن هذه المتقابلات لاسيما الأضداد يتحدث عنها لغاية تربوية فالحق سبحانه وتعالى يجلى من خلالها أصالة

الإيجابى فى مقابل زيف السلبى، والشئ كما نعرف يعرف بضده، كما أن الضد يظهر حسنه الضد.

ولقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحدثت عن هذه الثنائية لاسيما قول الحق سبحانه ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات (٤٩)] فكانت هذه الآية الشريفة نقطة البدء لهذا البحث الذى بين أيديكم، وقد حرصت على أن يقتصر بحثى هذا على بيان تلك الثنائية فى الفكر الإسلامى فقط على أن يكون القرآن الكريم هو المرجع الأساسى فى هذا العمل حتى لا تلتبس الأمور على القارئ لاسيما أن هناك فلسفات وأديان ترتكز بالدرجة الأولى على هذا المبدأ كفرقة الثنوية مثلاً التى تقول بإلهين اثنين: إله الخير وإله الشر، وكالمجوس الذين ذهبوا إلى أن فاعل الخير هو (يزدان) وفاعل الشر هو (أهرمن) إلى آخر هذه المعتقدات الفاسدة التى تبتعد كل البعد عن العقيدة الإسلامية ولذا كان همى بيان فكرة الثنائية فى الإسلام لما رأيتها قانوناً كلياً يحكم العالم بأسرة بنص التنزيل.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث وعنوانه (مبدأ الثنائية فى الفكر الإسلامى)/ على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة.

مقدمة: فى بيان مشكلة البحث وأهدافه وأهمية الموضوع وسبب اختيارى له.

تمهيد: تحدثت فيه عن السبب الذى من أجله خلق الله سبحانه وتعالى الموجودات، وما فيها من متقابلات، وبيان سلوك الإنسان تجاه

هذه المتقابلات التى فيه وفى الكون من حولنا لاسيما الأضداد منها، وعلاقة هذا بموضوع البحث.

المبحث الأول: تقرير مبدأ الثنائية فى القرآن الكريم

المبحث الثانى: الثنائية وقضية التوحيد

المبحث الثالث: الثنائية فى المنظومة الكونية

المبحث الرابع: الثنائية فى المنظومة الإدراكية (العقل والحواس)

المبحث الخامس: الثنائية فى المنظومة الخلقية (الخير والشر)

المبحث السادس: الثنائية فى المنظومة الجمالية (التحسين والتقبيح)

المبحث السابع: الثنائية فى المنظومة الاستدلالية (المعقول والمنقول)

الخاتمة: تحدثت فيها عن الحكمة من خلق الثنائيات فى الكون، كما تحدثت عن الفرق بين طبيعة الحكم الخلقى والشرعى وكيف أنهما

يغايران الحكم الاعتقادى، ثم تحدثت عن أهم النتائج المستخلصة من البحث، يليها ثبت بأهم المصادر والمراجع ثم فهرس تفصيلى للموضوعات.

وأخيراً أسأل الله التوفيق والسداد وأن يصير هذا العمل المتواضع علماً ينتفع به، وفوق كل ذى علم عليم.

الباحثـــــة

تمهيد:

الإنسان، ذلك المخلوق المتمرد، وهو بطبعه ليس مجبولاً على الطاعة وخروج آدم وحواء – أول ثنائى فى هذا الكون – من الجنة لم يكن له سبباً إلا لحظة عصيان تجاذبهما الشيطان فيها، ولعل ذلك هو سبب تمردنا نحن الأبناء، أما الأَخوان فلم يسلما من ذلك الشيطان، ولم يعد العصيان مجرد أكل من الشجرة، وإنما تطور إلى القتل من أجل الفوز برضا الرب حينما قرب أحدهما قرباناً فتقلبه من أحدهما دون الآخر، ومن يدرى لعلنا من نسل ذاك القاتل إن لم يكن لأبينا آدم وأمنا حواء أبناءاً غيره.

تلك هى البداية: "الثنائية مع العصيان" لتصبح المنظومة الثنائية الزوجية فى الكون عالماً مبهراً لا نهائياً من المتقابلات، فأما آدم وحواء وهما أول زوجين تحققت بهما البشرية، والأخوان أول متضايفين تحقق بهما العمران، أما القتل فهو أول صراع بين المتضادين الخير والشر، وأما الأكل من الشجرة فهو أول صراع بين الطاعة والعصيان وتتلاحق البشرية وتتسابق المعصية مع الإنسان سباقاً لا ينتهى إلا بانتهاء البشرية نفسها، فحينما يأمرنا الإله بعبادته التى هى سبباً رئيسياً فى خلقه للجن والإنس فكيف يكون حالنا إذن؟!

والذى أعنيه أن الصراع بين هذه المتقابلات هو المحك فى هذا الكون. الصراع بين الخير والشر/ النور والظلمة/ الحسن والقبح/ الطاعة والعصيان/ المادة والروح، طالما أن هناك رأس الشر إبليس لاسيما بعد أن توعد لنا بالغواية التى هى أساس الفتنة وعلينا الاختيار، يقول الحق سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [سورة العنكبوت (٢)]، كما قال جل وعلا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء (٣٥)] أى إختبار، وهذا الاختبار يكون بالمتقابلين: الخير والشر، حتى الباعث على الفعل عند الإنسان ثنائى أيضاً فهو إما عزم وإما تخاذل، وعليه فالحكم إما مدح وإما ذم، إما حسن وإما قبيح، وتتوالى المتقابلات والأضداد على وجه الخصوص، وهذا البحث محاولة لجمع هذه الأضداد فى وحدة تفسر الكون بما فيه من ثنائية أو بالأحرى بما فيه من زوجية أو إن شئت قل بما فيه من متناقضات.

هذا بالنسبة للإنسان أما الكون فى جملته فهو أيضاً عالماً مليئاً بالمتقابلات ومليئاً بالازدواجية سماءاً وأرضاً حيواناً ونباتاً وجماداً كل ما فى الكون زوجان ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس (٣٦)].

وهذه المتقابلات ليست مما ندركها بالحس فقط بل هناك متقابلات معنوية: فكرية أو عقلية أو علمية أو فنية .. إلخ، وأهم ما نلحظه من هذه المتقابلات سواء أكانت من الأضداد أم غيرها، هى المتقابلات فى المفاهيم الخاصة بالعلوم الوضعية، ففى علم المنطق مثلاً نجد متقابلات مثل: التصور والتصديق/ البديهى والنظرى/ المفهوم والما صدق/ المقدم والتالى/ اللفظ المركب واللفظ المفرد/ الكلى والجزئى/ الكل والجزء/ الجنس القريب والجنس البعيد/ الجنس العالى والجنس السفلى... إلخ، وفى علم الفلسفة: الطبيعى وما وراء الطبيعى/ الهيولى والصورة/ الشك واليقين/ الواقع والمثال.. إلخ، وفى علم الكلام: العلة والمعلول/ الوجود والعدم/ الواجب والممتنع/ الدال والمدلول/ الأسباب والمسببات/ الأثر والمؤثر/ الإيمان والإسلام/ العقيدة والشريعة/ العلم والعمل/ النبى والرسول/ الوحدة

والكثرة/ الدور والتسلسل/ الشاهد والغائب/ الخالق والمخلوق، وفى العلوم الشرعية: علم التفسير مثلاً، نجد ثنائيات مثل: المحكم والمتشابه/ الناسخ والمنسوخ/ المطلق والمقيد/ العام والخاص/ المكى والمدنى/ التوقيفى والتوفيقى/ التفسير والتأويل/ المجمل والمفصل/ القطعى والظنى/ وهكذا، وفى علم الفقه نجد متقابلات مثل: الحلال والحرام/ الأمر والنهى/ الكبائر والصغائر/ الطهارة والنجاسة/ الزواج والطلاق/ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وهكذا، وفى علوم اللغة العربية: علم النحو الصرف مثلاً: نجد متقابلات ثنائيات مثل: الفعل والفاعل/ المبتدأ والخبر/ المعرب والمبنى/ اللازم والمتعدى/ المنصرف وغير المنصرف/ النفى والإثبات/ المبنى للمجهول والمبنى للمعلوم/ الصفة والموصوف/ وفى علم البلاغة: الاتصال والانفصال/ الحقيقة والمجاز وهكذا، وحتى الأعمال الأدبية الشعرية وغيرها، والأعمال الفنية تخاطب فى الإنسان كل ما لديه من متقابلات مجبولة فيه أعنى الفكر والشعور/ الواقع والخيال.. إلخ، وهذه الأعمال لا تخلو أيضاً من المتقابلات مثل: اللفظ والمعنى/ المبدع والمتلقى: العمودى والحر فى الشعر، وكل هذا فى ثوب إما شعرى وإما نثرى.

وكما لاحظنا التقابل بأنواعه فى الكون وفى اصطلاحات العلوم الوضعية هناك أيضاً المتقابلات المعنوية وأضداد تتحمل التأويل كقول الحق سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة (٢٥٧)] فالمعنى يحتمل أن يكون المراد الكفر والإيمان.

وحتى وقت التسبيح والحمد يكون بالليل أو النهار أى فى وقتين متضادين يقول الحق سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [سورة غافر (٥٥)].

المبحث الأول

تقرير مبدأ الثنائية فى القرآن الكريم

خلق الله الكون ضمن أطر معلومة، وسن له قوانين محسوبة لا تتخلف يوماً، أى أن للكون نظاماً كلياً دائماً وثابتاً لا يشذ عنه فى الزمان والمكان شئ، والثنائية إحدى هذه القوانين التى بثها الله سبحانه وتعالى فى الخلق، وجعلها مبدءاً كونياً عاماً.

والمتأمل لآيات الله الكريمة يجده سبحانه وتعالى يقرر هذا المبدأ فى أكثر من موضع فى كتابه العزيز، يقول جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس (٣٦)]، فالآية الكريمة تدل على عموم مبدأ الثنائية لجميع الموجودات فقوله: [مما تنبت الأرض] أى من زروع وثمار ونبات، وقوله: [ومن أنفسهم] أى جعلهم ذكراً وأنثى، وقوله: [مما لا يعلمون] أى من مخلوقات شتى لا تعرفونها[1]، فالزوجية هنا تجرى على النبات وقد عبر عنه [بما]، والأنفس وقد عبر عنها [بمن]، كما تجرى على مخلوقات أخرى لم يطلعنا عليها الخالق الحكيم، ولم نتوصل إلى معرفتها بأى طريق من طرق المعرفة حتى الآن.

أما معنى [الأزواج] الوارد بالآية الكريمة فقد قيل فيه أقوالاً عديدة فالزمخشرى مثلاً يفسرها "بالأجناس والأصناف"[2]، والإمام القرطبى يفسرها

(١) "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير ٣٧٥/٦.

(٢) "تفسير الكشاف" الزمخشرى ٢٨٦/٣.

"بالأنواع والأصناف فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف فى الألوان والطعوم والأشكال، والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها، وقال قتادة يعنى الذكر والأنثى"(١).

وثمة آيات أخرى فى كتاب الله الحكيم تؤكد هذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [سورة الزخرف (١٢)] قال ابن عباس: "الأزواج: الضروب والأنواع كالحلو والحامض، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى، وقال بعض المحققين: كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت، واليمين واليسار، والقدام والخلف، والماضى والمستقبل، والذوات والصفات، والصيف والشتاء، والربيع والخريف"(٢). وقيل أيضاً فى تفسير هذه الآية: "أى والله الذى خلق الأزواج، قال سعيد بن جبير: أى الأصناف كلها، وقال الحسن: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار، وقيل: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، قاله ابن عيسى، وقيل: أراد أزواج النبات، وقيل: ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضر، وفقر وغنى، وصحة وسقم" (٣).

يقول الإمام الطبرى فى تفسير هذه الآية: "والذى خلق كل شئ فزوجه أى خلق الذكور من الإناث أزواجاً، والإناث من الذكور أزواجاً" (٤) فحصر الزوجية فى الجنس الحيوانى فقط بنوعيه: الذكر والأنثى، وليس

---

(١) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٨/٢٦.

(٢) "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" للإمام فخر الدين الرازى ٢٧/١٧٥.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٨/٣٧٩.

(٤) "تفسير الطبرى" محمد بن جرير الطبرى ١١/١٦٩ وما بعدها.

على العموم كما ذكر ابن عباس وابن جبير وغيرهم، وهو حصر فيه تضييق للمعنى المراد من الآية لاسيما دلالة كلمة [كلها] الواردة بالآية والتى تدل على عموم مبدأ الزوجية فى جميع الخلق من إنسان وحيوان ونبات وجماد وغيره، والذى يؤيد هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة يس (٣٦)] فقد وضحت الآية بعد كلمه [كلها] ما تمثلت فيه هذه الزوجية من نبات، وأنفس، وما لا يعلمه إلا الله مما يدل على أن الزوجية لا تتمثل فى الموجود المشاهد لنا فقط بل والغيبى عنا مما لا نعرفه، وأنه سبحانه وتعالى "يعدد الأصناف والأشياء لتأكيد معنى العموم" [١] أى جريان مبدأ الزوجية وتعميمه على جميع الموجودات.

ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾[سورة النبأ (٨)] يقول الإمام الرازى فى شرح هذه الآية: "وفيه قولان: الأول: المراد الذكر والأنثى كما قال ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [سورة النجم (٤٥)]، والثانى: أن المراد منه كل زوجين و(كل) متقابلين من القبيح والحسن، والطويل والقصير، وجميع المتقابلات والأضداد، كما قال: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات (٤٩)] وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة، ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء، والامتحان، فيتعبد الفاضل بالشكر، والمفضول بالصبر، ويتعرف حقيقة كل شئ بضده، فالإنسان إنما يعرف قدر الشباب عند الشيب، وإنما يعرف قدر الأمن عند الخوف، فيكون ذلك أبلغ فى تعريف النعم" [٢].

---

(١) "التفسير الكبير" للرازى ٢٦/٦٤.

(٢) "التفسير الكبير" للرازى ٣١/٧.

وقيل فى معنى قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ "يعنى ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم (٢١)] [(١)].

وإن كنت أرى أن هذا الرأى مرجوحاً لسببين:

السبب الأول: أن آية [وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا] مطلقة وعامة تشمل كل زوجين من البشر وغيره دون تقييد أما الآية التى ذكرها المفسر مقيدة أولاً بموضوع محدد وهو مشروعية الزواج، والحكمة منه، والمنهج الإلهى الذى يجب أن يتبعه الأزواج فى حياتهم الخاصة وهى المودة والرحمة ومقيدة ثانياً بقوله تعالى [مِنْ أَنْفُسِكُمْ] أما الآية التى معنا يقصد بها كل ما يطلق عليه "زوج" فوجه الاستشهاد بالآية بعيد.

السبب الثانى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الذاريات (٤٩)]، فالآية تدل دلالة صريحة وقاطعة على أن كل شئ خلقه الله سبحانه خلقه وفقاً للمنهج المتبع فى الخلق، وهو تحقق الزوجية فيه "والزوجان إما الضدان فإن الذكر والأنثى كالضدين والزوجان منهما كذلك، وإما المتشاكلان فإن كل شئ له شبيه ونظير وضد وند، قال المنطقيون: المراد بالشئ الجنس وأقل ما يكون تحت الجنس نوعان كل جنس خلق نوعين من الجوهر مثلاً المادى والمجرد،

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" الحافظ ابن كثير ٨/٢٣٧.

ومن المادى النامى والجامد، ومن النامى المدرك والنبات، ومن المدرك الناطق والصامت، وكل ذلك يدل على أنه فرد لا كثرة فيه" (١).

إلا أنه تعددت الأقوال فى معنى قوله: [خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ] ذكرها الإمام الطبرى إلا أنه رجح منها قول مجاهد "وهو أن الله تبارك وتعالى خلق لكل ما خلق من خلقه ثانياً له مخالفاً فى معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر" (٢). كما رجح هذا القول الإمام القرطبى فيذكر فى تفسير قوله تعالى [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ] "أى صنفين ونوعين مختلفين، قال ابن زيد: أى ذكر وأنثى، وحلواً وحامضاً، ونحو ذلك، مجاهد: يعنى الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجن والإنس، والخير والشر، والبكرة والعشى، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والأراييح والأصوات: أى جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة" (٣) فهذه الثنائية إنما تنطوى على كلمة بالغة أودعها الله فى هذا الكون الذى لم يكن ليستقيم حاله بهذا الشكل المتزن والمتوازن بدونها لاسيما بعد أن سن الله سبحانه وتعالى هذه الزوجية (الثنائية) فى جميع المخلوقات وصدق قول الحق سبحانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر (٤٩)] أى مقدراً محكماً ومرتباً على حسب ما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى.

---

(١) "التفسير الكبير" للرازى ٢٠٩/٢٨.

(٢) "تفسير الطبرى" لابن جرير الطبرى ٤٧٣/١١.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبى ٤٧/٩.

المحكم والمتشابه:

وثمة مظهر جلى آخر لمبدأ الثنائية فى القرآن الكريم يبدو كقاعدة كلية تحكم آياته، أعنى ثنائية: "المحكم والمتشابه" (١). يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران (٧)]، وعلى تعدد أقوال المفسرين فى معنى المحكم والمتشابه، إلا أن هذه الآية قطعية الدلالة على اشتمال آيات القرآن الكريم على ذلك التقابل بين ألفاظه الدالة على معانيه، فإن كان اللفظ بحيث لا يحتمل معنى غير ما وضع له فهو المحكم، وإلا فهو المتشابه لنجد أنفسنا أمام منظومة ثنائية أخرى تتضح فى التعامل مع النص القرآنى، لأنه إما يفيد القطع، فيقتضى منا التفسير، وإما يفيد الظن وحينئذ يحتمل التأويل، كما أن منه المجمل والمفصل/ المكى والمدنى/ الناسخ والمنسوخ/ المطلق والمقيد/ العام والخاص/ التوفيقى والتوقيفى وغيرها.

هذا بالنسبة إلى تقسيم الآيات من حيث الدلالة، أما بالنظر إلى الأحكام التى اشتملت عليها هذه الآيات فنجدها هى الأخرى تنطوى على

---

(١) آيات محكمات: أى: "بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال: "هن أم الكتاب" أى: أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه و"أخر متشابهات" أى: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد". (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير) للعلامة الشيخ أحمد شاكر ٣١٣/١.

ثنائيات جديدة تتمثل أمامنا فى التقابل بين الأحكام الشرعية كالحلال والحرام، المستحب والمكروه وما يترتب على هذه الأحكام من مفاهيم تتسم بدورها بالثنائية مثل: الأمر والنهى/ الوعد والوعيد/ الثواب والعقاب/ الجنة والنار/ النعيم والشقاء/ الحق والباطل/ الكفر والإيمان/ الخير والشر/ الصغائر والكبائر/ الحسنة والسيئة/ المنكر والمعروف/ التبشير والتنذير/ الجبروت والرحمة/ الفضيلة والرذيلة/ الدنيا والآخرة/ الموت والحياة/ الطاعة والمعصية/ الأبرار والفجار/ الضلالة والهداية/ الرغبة والرهبة/ السر والعلانية/ العطاء والمنع/ الصبر والجزع إلى آخر تلك المفاهيم التى تتصل بشكل وثيق بالأحكام الشرعية.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن الدين برمته ينقسم إلى: عقيدة وشريعة وهذه أهم ثنائية على الإطلاق لأنها تنطوى على جوهر الدين الإسلامى، فالعقيدة والشريعة إنما يعنيان: العلم والعمل/ الإيمان والإسلام/ النظرى والعملى/ المعرفة والسلوك/ الظاهر والباطن/ فالعقيدة هى الجانب المعرفى من الدين، والشريعة هى الجانب العملى وكلاهما يشكل عقيدة المسلم الصحيحة، فإن حسن الاعتقاد صلح العمل.

المبحث الثانى

الثنائية وقضية التوحيد

التوحيد جوهر جميع الأديان السماوية – لاشك فى هذا – وحينما تحدث الخالق الحكيم عن خلقه، وما أودعه فى هذا الكون من أسرار أكد على ربوبيته وفردانيته واختصاصه وحده بالألوهية دون غيره، ولقد سلك القرآن الكريم لتأكيد عقيدة التوحيد مسالكاً عديدة ووضعها نصب أعيننا، وأنار بآياته عقولنا لإدراك دلائل عظمة الله وطلاقة قدرته فى الخلق مؤكداً فى كل جنبات هذا الكون الفسيح بسمائه وأرضه على أنه واحد أحد فرد صمد، رب السموات والأرض تنزه سبحانه عن الشريك والند والولد.

والثنائية واحدة من هذه المسالك الدالة على وحدانيته تعالى، وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى توضح لنا هذا المعنى وتقره مبدءاً جوهرياً لعقيدة المسلم القائمة على التوحيد، ومن الآيات الأصيلة فى هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)﴾ [سورة الذاريات (٤٧–٥١)].

والآيات السابقة مجتمعة توضح الآتى:

أولاً : تأصيل مبدأ الثنائية فى الخلق، الآيات (٤٧) ، (٤٨).

ثانياً : التنبيه والتأكيد على هذا المبدأ فى الآية (٤٩).

ثالثاً : ربط المبدأ بالأمر بالتوحيد فى الآية (٥٠).

رابعاً : إتمام التوحيد فى الآية (٥١).

وبيان ذلك:

يخبرنا الحق سبحانه بخلق العالمين العلوى والسفلى، أعنى "السماء والأرض" وهما مظهران جليان لكل متدبر، ثم أقر مبدأ الثنائية فى كل شئ ليدل بذلك على أنه تعالى فرد لا كثرة فيه، ومعنى قوله: " لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " أى لعلكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يكون له زوج وإلا كان ممكناً فيكون مخلوقاً ولا يكون خالقاً[1]، ولذلك أمرنا الحق سبحانه فى الآية التى تليها أن نفر إليه وحده؛ لأن القدرة بين يديه وحده، وفيه إقرار بتوحيد ربوبيته، ثم أتم هذا التوحيد بقوله: "وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ" وهذا إقرار بألوهيته، وبتمام الإقرارين يتم التوحيد الخالص له سبحانه وتعالى.

يقول الإمام الطبرى فى تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ" أى "ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذى خلقكم معبوداً سواه؛ فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره"[2].

ويمكننا أن نلحظ فى السياق القرآنى أنه لم تأت آيات تتضمن نفى الشريك عن الله عز وجل أو الصاحبة والولد أو الضد والند أو المثيل والشبيه، إلا كانت مصحوبة غالباً بذكر الزوجية فى الخلق والتأكيد على هذه المصاحبة، كما أنه لا يأتى الإقرار بتوحيد ألوهيته تعالى إلا سبقه إقرار آخر بتوحيد ربوبيته وجعله سبباً رئيسياً لاستحقاق هذه الألوهية.

---

(١) "التفسير الكبير" للإمام الرازى ٢٠٩/٢٨، وما بعدها.

(٢) "تفسير الطبرى" ٤٧٣/١١.

يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة (٢١-٢٢)]، ففى الآيات الكريمة السابقة أمر الله خلقه بالإذعان له ثم ذكر لهم وجه استحقاقه بالعبودية وحده ألا وهو تفرده بالخلق، ثم أخذ يعدد صفات المخلوقات التى لا تخرج بأى حال عن حقيقة مجبولة فيها ألا وهى إتصافها بالزوجية، ثم زيلت الآية بنهى العباد عن اتخاذ الند لأنه لا خالق معبود سواه، تعالى الله عن الند والشريك والولد.

إلا أنه قد تأتى آيات القرآن الكريم فى سياق آخر عير ما ذكرناه فيأتى التنبيه على ألوهيته تعالى، ثم يذكر المولى عز وجل دلائل قدرته فى الخلق وذلك بعد أن اطمأنت النفوس والقلوب بحيث لا تحتاج لدليل، يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [سورة البقرة (١٦٣-١٦٤)]، ففى الآية (١٦٣) التى معنا جاء التنبيه على ألوهيته تعالى بأسلوب الخبر بعد أن كان فيما سبق من الآيات أمراً بالتوحيد، وأحياناً نهياً عن اتخاذ الند، فاختلف السياق فجاء مناسباً للآية التى تعقبها، آية (١٦٤). حيث ورد الحديث عن الخلق مؤكداً "بإن" ومفسراً فى الوقت نفسه لطبيعة الكون بما فيه من ثنائيات كالسماء والأرض، الليل والنهار، كما تشير الآيات لثنائية جديدة أعنى ثنائية الأسباب والمسببات فى الكون، فتعاقب الليل والنهار

ما هو إلا نتيجة لدوران الأرض (العالم السفلى) حول الشمس (العالم العلوى) كما أن السماء سبباً رئيسياً للحياة فى الأرض، وعقب هذه الآيات الكريمة يستنكر الله سبحانه من يتخذ شريكاً له وفى ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة (١٦٥)]، حيث وردت الآية فى سياق خبرى مناسب لبدء الآيات ليس أمراً ولا نهياً وإنما تنبيهاً لكل عاقل متدبر.

وصدق الحق سبحانه حيث قال فى محكم آياته: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام (١٠١)]. فذكر الخلق بعد نفى الصاحبة والولد تأكيد على أن الحق سبحانه مخالف لخلقه لاسيما بعد أن صدرت الآية بذكر الزوجية فى الخلق، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد لا ند ولا شريك له ولا ولد، بينما مخلوقاته قد جبلت على الزوجية، وهنا نستطيع أن نقف على سياق قرآنى آخر فبينما لاحظنا فى الآيات السابقة وقد جاء التنبيه على الألوهية بأساليب متعددة منها الأمر، والنهى، والخبر والاستنكار كما أوضحناه سابقاً إلا أنه هنا جاء بأسلوب جديد فى قوله تعالى: " أَنَّى" الذى يفيد غاية البعد عن اتخاذ الصاحبة والولد تعالى الحق عن ذلك علواً كبيراً.

المبحث الثالث

الثنائية فى المنظومة الكونية

إن كل من يتأمل هذا الكون الذى نعيش فيه، يجده فى حقيقة الأمر عالماً من الثنائيات يدعونا للدهشة كما يدعونا للتدبر، ويكاد يحكم العالم بأسره: العالم العلوى والعالم السفلى، عالم الملكوت وعالم الناسوت، العالم الشريف المتعالى والعالى الردئ الفانى، عالم الطاعة المجبولة الملائكية وعالم المعصية المرذولة الآدمية، وتتجلى هذه الثنائية فى جميع الموجودات من حولنا ما نستطيع إدراكه ومالا نستطيع، وذلك مثل: السماء والأرض/ الليل والنهار/ الشمس والقمر/ الجنة والنار/ الجن والإنس/ الشرق والغرب/ الحركة والسكون/ المالح والعذب/ البر والبحر/ الموت والحياة/ الكون والفساد/ الظلمات والنور/ الحسن والقبيح/ الحار والبارد/ الحلو والمر/ الأخضر واليابس/ الأملس والخشن/ الذكر والأنثى/ المادة والروح/ السالب والموجب/ الخفة والثقل/ السريع والبطئ/ الثابت والمتغير/ إلى آخر هذه الثنائيات الكونية التى لا تعد ولا تحصى.

ويمكننا ملاحظة مظاهر هذه الثنائية فى الكون على النحو التالى:

١- **خلق السموات والأرض**، (**وما يلحقهما**):

مثل: الشمس والقمر، والليل والنهار، والشرق والغرب، والظلمات والنور فتلكم منظومة محكمة ترتبط ببعضها البعض، والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد العديد والعديد من الآيات الدالة على هذه الثنائيات الكونية منها

على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام (١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران (١٩٠)].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [سورة الزمر (٥)].

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [سورة الرحمن (١٧)].

فهذه الآيات وغيرها الكثير إنما تدلنا على السر الكامن فى هذا الكون الذى نعيش فيه والذى يتمثل فى هذا الكم الهائل من الثنائيات، وتلك الديناميكية التى بين هذه الثنائيات هى السر فى وجودها، والتى لولاها لما فهمنا طبيعية الموجودات، ولما أمكننا أن نتصوره، فلولا الظلام لما أدركنا النور، ولولا الليل لما أدركنا النهار، ولولا الأرض لما أظلتنا السماء، ولولا المالح لما أدركنا العذب، ولولا الموت ما فهمنا معنى الحياة، فالضد دوماً يتضح بضده، فلو أخذنا بعض الأمثلة من الآيات السابقة نجد منظومة كونية متكاملة عناصرها السموات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والظلمات والنور، ولكل عنصر من هذه العناصر خصائص تميزها، وفى الوقت ذاته تنفعل بما يليها من موجودات فتؤثر فيها، فدوران الأرض مثلاً حول نفسها سبباً فى تعاقب الليل والنهار، ومن ثم النور والظلمة، كما أن دوران الأرض حول الشمس سبباً فى حدوث الفصول الأربعة التى

يتحصل بها الصيف والشتاء والربيع والخريف، وكلها كما نرى موجودات ثنائية ولولا هذا التباين فيما بينها لما فهمنا الكون ولما وعينا وجوده، ولولا العدم لما أدركنا وجودنا نحن.

وكما خلق الله سبحانه الأضداد تجلت قدرته أيضاً لا فى اجتماعها فحسب بل فى انبثاق بعضها من بعض تحدياً بخلقه وعظمته سبحانه والأمثلة على ذلك وردت كثيراً فى القرآن الكريم ومنها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران (٢٧)].

وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [سورة الأنعام (٩٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آَيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [سورة الإسراء (١٢)].

وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور (٤٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان (٤٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [سورة الفرقان (٦٢)].

وقولـه تعـالى: ﴿وَخَلَقْنَـاكُمْ أَزْوَاجًـا ۞ وَجَعَلْنَـا نَـوْمَكُمْ سُـبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[ســورة النبأ (٨-١١)].

والحكمة المعتبرة من هذه الآيات لا تخفى عل كل متدبر، إلا أننا لو أردنا الإحاطة بحكمته فى خلقه جل وعلا على هذا النحو لما وسعنا أن نحمده على هباته ونعمه الكثيرة التى فضلنا بها على سائل المخلوقات.

٢- خلق البحار والأنهار (المالح والعذب):

وهذه ثنائية كونية أخرى تدل على عظمة الخالق سبحانه وهى التقاء الماء العذب بالماء المالح فى موضع واحد بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر يقول الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [ســورة الفرقان (٥٣)]، وفى موضع آخر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [ســورة فاطر (١٢)] كما قال أيضاً: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [ســورة الرحمن (١٩)] أى ماء البحر المالح وماء النهر العذب دون أن يختلط أحدهما بالآخر.

٣- خلق الإنسان:

وهو صورة جلية من صور الثنائية فى هذا الكون، يقول المولى عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [ســورة الأعراف (١٨٩)]، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [ســورة النساء (١)]، والمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام ثم خلق منه حواء ثم انتشر الناس منهما أزواجاً متباينة فى النوع فمنهم الذكر

ومنهم الأنثى، يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[سـورة الحجرات (١٣)]، وهذا التباين هو من إرادة الحق سبحانه حيث يقول: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [سـورة الشورى (٤٩)].

ويمكننا إجراء هذه الثنائية على وسوسة الشيطان لآدم وزوجه حيث لم يكتف بآدم وحده بل وسوس لهما معاً فكانت أول خطيئة هى أيضاً ثنائية وقع فيها الزوجان معاً يقول المولى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [سـورة الأعراف(٢٠)].

وما يجرى على الإنس يجرى كذلك على الجن فمنهم المؤمن ومنهم غير ذلك وحينما وعد الحق سبحانه الطائعين بالجنة خاطب الاثنان معاً أى الثقلان: الجن والإنس وهما أيضاً ثنائيان يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة الرحمن ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سـورة الرحمن (٥٢-٥٣)]. أما عن الجزاء الأخروى فلا يخلو من ثنائية أيضاً حيث الجنة والنار والنعيم والشقاء.

٤- خلق الحيوان:

وكما أجرى الله سبحانه وتعالى الثنائية فى خلق الإنسان أجراها كذلك فى خلق الحيوان يقول المولى عز وجل ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سـورة الشورى (١١)] ومعنى الآية:

أنه سبحانه فطر السموات والأرض أى خلقها وأبدعها والأزواج هنا معناه الإناث وقوله تعالى: [مِنْ أَنْفُسِكُمْ] "لأنه خلق حواء من ضلع آدم أما المراد من قوله: [وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا] يعنى الثمانية التى ذكرها فى سورة الأنعام ذكور الإبل والبقر والضأن والمعز وإناثها"[1]. والآية بها أكثر من ثنائى: الأول: السموات والأرض، والثانى: الإنسان (ذكر وأنثى)، والثالث: الحيوان (ذكر وأنثى).

٥- خلق النبات :

النبات أيضاً شأنه شأن الإنسان والحيوان فى تحقق الثنائية فيه ما بين حلو وحامض/ رطب ويابس/ أبيض وأسود/ صغير وكبير/ ذكر وأنثى/ صنوان وغير صنوان/ يقول جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الرعد (٣)].

والآيات الدالة على تحقق الزوجية فى النبات كثيرة فى القرآن الكريم وذلك مثل:

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق (٧)].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[سورة الشعراء (٧)]. أى من كل زوج من النبات حسن المنظر.

(١) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى ٨/٣٣٢.

٦- خلق الجمادات:

وهى أيضاً لا تخلو من الثنائية فالكون بأسره يتكون من المادة وضد المادة، أما المادى فمنه النامى وغير النامى وهو الجماد وإذا نظرنا إلى هذا الجماد وجدناه يتردد بين متضادات كثيرة فهو إما سالب أو موجب/أبيض أو أسود/ كثير أو قليل/ صغير أو كبير/ طويل أو قصير/ خفيف أو ثقيل/ حار أو بارد/ سريع أو بطئ/ متحرك أو ساكن/ أملس أو خشن/ جامد أو سائل/ مرن أو صلب وغيره الكثير من خواص المادة.

المبحث الرابع

الثنائية فى المنظومة الإدراكية

(العقل والحواس)

وهبنا الخالق عز وجل الوسائل التى بها ندرك الأشياء، أعنى العقل والحس، ومن ثم نستطيع معرفة العالم من حولنا، بواسطة هذا الثنائى المعرفى، وتنوعت تلك الوسائل نظراً لتنوع المدرَك أى أن كلاً من العقل والحس يملك موضوعه الخاص ما بين معقول ومحسوس، حتى أن مذاهب الفلاسفة ونظرياتهم المعرفية انقسمت كل بحسب توجهه، حتى صار فى تاريخ الفلسفة ما نطلق عليه المذهب العقلى أو المذهب التجريبى (الحسى)... إلخ.

وبالنظر إلى موضوع هام كموضوع الإدراك الإنسانى نجد أنفسنا أمام كم هائل من المفاهيم الثنائية – محل الدراسة – يتعلق بالإدراك سواء ما كان منها ،خاص بالذات المدركة أو ما كان منها خاص بالموضوع المدرَك، وهذه المفاهيم هى أيضاً بدورها موضوعات محلاً للدراسة فى علوم شتى، ومنها على سبيل المثال: المعقول والمحسوس/ العلم بالكليات والعلم بالجزئيات/ العلم والجهل/ العالم الطبيعى وعالم ما وراء الطبيعة/ علم الله القديم وعلم المخلوق الحادث/ الشاهد والغائب/ المطلق والنسبى/ المفهوم والماصدق/ اللغة والفكر/ الوجود والعدم/ الوجود والماهية/ الواجب والممكن/ الشعور واللا شعور/ الحسن والوجدان/ القدم والحدوث/ المادى والمجرد/ الحاس والمحسوس/ العاقل والمعقول/ الحق والباطل/ العدم

والملكة/ الشك واليقين/ إلى أخر هذه المعانى المعرفية التى تذخر بها الدراسات العقدية والفلسفية والمنطقية لاسيما الباحث منها فى وسائل الإدراك، وما علم المنطق إلا بحث فى المعلوم التصورى والمعلوم التصديقى بديهياً كان أم نظرياً لنجد أنفسنا أمام أشهر المتقابلات على الإطلاق ألا وهى التصور والتصديق/ البديهى والنظرى وما يفضيان إليه من العلم البديهى والعلم النظرى.

وبالرجوع إلى وسائل الإدراك نجد أن العقل قد تقدم فى الرتبة والتفضيل والخصوصية دون الحواس نظراً لأهمية المدرَك وشرفه فإننا ندرك به المعانى المجردة كالخير والشر، والحق والباطل، الفضيلة والرذيلة.. إلخ. كما أننا ندرك به الخالق عن طريق التدبر فى آلائه ونظراً لشرف هذه المعرفة جعلها الله لا تدرك إلا بجوهر شريف كرمه ودعانا لحمايته وفضلنا به على سائل المخلوقات وحرم علينا ما يذهبه ألا وهو العقل فمن عجائب الله فى خلقه أن وهب لنا عقلاً واحداً ندرك به واجب الوجود، ولساناً واحداً لأنه ينطق كلمة التوحيد مغايراً فى ذلك بقية الحواس لكونها زوجية كالعينين والأذنين والشفتين يقول الحق تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[سـورة البلد (٨-١٠)] أى طريق الخير وطريق الشر.

أما الحواس فهى لإدراك شيئين :

١- العالم الخارجى (المشاهدات) بالحواس الظاهرة (السمع والبصر والشم والذوق واللمس).

٢- العالم الداخلى لما يحدث فى البدن من اختلال كالجوع والعطش.

والقرآن الكريم يقدم حاستى "السمع والبصر" كآدتين من أدوات الإحساس لأهميتهما القصوى فى عملية الإدراك، كما قدم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر لأن به التعلم وتحصيل العلوم كما أننا ندرك به وجه الحق من الكلام. يقول المولى عز وجل فى أهمية هذه الحواس: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء (٣٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[سورة النحل (٧٨)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المؤمنون (٧٨)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة (٩)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق (٣٧)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الملك (٢٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف (١٩٨)].

المبحث الخامس

الثنائية فى المنظومة الخلقية

(الخير والشر)

قضية الخير والشر قضية قديمة قدم الزمان نفسه، وهى فى حقيقة الأمر قصة صراع الضمير مع الذات، كما أنها أيضاً قصة صراع بين الذوات فى هذه المعمورة مردها – بلا شك – للنفس الأمارة بالسوء، فلولا التعدى لما بدأ الصراع، ولما وقفنا على طبيعة النفس البشرية ويوقفنا التاريخ على قصة أول صراع بشرى كان بين أخوين ملأ الحقد والحسد قلب أحدهما فبدأ التعدى بسفك الدماء التى حرم الله إلا بالحق ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة المائدة (٣٠)] وتوالى الصراع بين أبناء آدم منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، صراع بين المتقابلات المجبولة فينا صراع ما بين: الخير والشر/ الفضيلة والرذيلة/ المادة والروح/ الحق والباطل/ العزم والتخاذل/ الطيب والخبيث/ المحبة والكراهية/ المعروف والمنكر/ الكفر والإيمان/ الطاعة والمعصية/ الحسنة والسيئة/ الصدق والكذب/ الصبر والجزع/ العدل والظلم/ النقع والضر، وهذا الصراع يوقفنا على ماهية أفعالنا، ومن ثم ماهية الحكم الخلقى المترتب على هذه الأفعال وما تستلزمه من مدح أو ذم، ثواب أو عقاب، ومن ثم نعيم أو شقاء.

وبما أن النفس البشرية تتنازعها هذه المتقابلات فلابد إذن أن يكون الإنسان متعادلاً ومتوازناً بين قوتيه المادية والروحية لأننا خلقنا

منهما معاً، ولن يستقيم هذا المخلوق المتناقض إلا بالحفاظ على هذه الموازنة بين متناقضاته وكذلك الموازنة بين ما تقتضيه الحياة الدنيا وما تقتضيه الحياة الآخرة.

ولكن ما السبيل إلى هذه الموازنة ؟

إنه الاعتدال والوسطية حيث لا إفراط ولا تفريط، يقول الحق سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة (١٤٣)] فالتوسط هو الاعتدال بين المتقابلات المفطورة فى النفس البشرية، ولذا حرص ديننا السمح على الجمع بين ما هو مادى وما هو روحى وذلك بمراعاة متطلبات البدن بجانب متطلبات الروح فكما شرع الله سبحانه الصوم مثلاً شرع لنا الطيبات من الرزق، وكما شرع الزواج شرع كذلك التعفف عما حرم الله أو الزهد لمن أراد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء كما كان يقيم الليل يصلى، وكذلك الوسطية فى كل شئ من أمور حياتنا ومعاملاتنا مع الغير ومع أنفسنا ففى الإنفاق مثلاً يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء (٢٩)]، وفى موضع آخر يقول الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان (٦٧)] ومثاله فى الصلاة قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء (١١٠)]، ومثاله فى مجال الشعور يقول المولى عز وجل: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة الحديد (٢٣)] ومثاله فى السلوك يقول المولى عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف (٣١)] والأمثلة على الوسطية فى الدين الإسلامى كثيرة جداً لا يتسع لها المقام، إلا أنها فى آخر المطاف تحث على تكافؤ القوى النفسانية فينا.

هذا بالنسبة للأفراد ولكن ما حال الجماعات إذا بغت قوى الشر فيها على قوى الخير؟ هنا يتجلى التكافؤ الإلهى لما فيه مصلحة العباد، والموازنة الربانية بين القوة والضعف، بين الجبروت والرحمة يقول المولى عز وجل: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة (٢٥١)]. كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران (٢٦)].

وإذا قد منّ الله علينا بالتخفيف فى الأحكام بأن منحنا الرخص وفى المعاملات بأن أباح لنا التوسط فى الأمور وأفاض علينا من نعمه الكثيرة، كان لابد من امتحان العباد بعد هذه النعم لكى يعظم الأجر فيثاب من يثاب ويجازى من يجازى ممن أدرك التكليف وتحمل المسئولية، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الخير والشر امتحاناً للعباد إذ ليس هناك بلاء أعظم منهما، يقول الحق سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[سورة الأنبياء (٣٥)]، فمن المفسرين[1] من جعل الفتنة توكيداً معنوياً للابتلاء، ومنهم من جعل الابتلاء للشر والفتنة

(١) انظر "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازى ١٦٣/٢٢.

للخير أى "تختبركم أيها الناس بالشر، وهو الشدة فنبتليكم بها، وبالخير وهو الرضا والسعة والعافية فنقتنكم به"[١].

(١) "تفسير الطبرى" محمد بن جرير الطبرى ٩/٢٥.

المبحث السادس

الثنائية فى المنظومة الجمالية

(التحسين والتقبيح) (١)

احتدم الخلاف بين فرق المتكلمين حول قضية "التحسين والتقبيح" والتى تتردد بين الشرعية والعقلنة، ومؤدى الخلاف هل يثبتان بالشرع أم بالعقل، أو بمعنى آخر هل الحسن ما حسنه الشرع أم العقل؟ وكذلك القبيح يجرى عليه السؤال نفسه، ولكى نهدأ بالاً بالجواب عن هذا السؤال ينبغى أن نعيد صياغة السؤال لكى نضع الأمور فى نصابها ويصير السؤال حالتئذ كالآتى: هل هما – التحسين والتقبيح – مفهومان ذواتا دلالة شرعية بمعنى أننا نرى الحسن حلالاً والقبح حراماً؟ أم مفهومان ذواتا دلالة عقلية بمعنى أننا نرى الحسن نظراً أو استدلالاً والقبح هذياناً؟ أو ربما ذوتا دلالة خلقية بمعنى أننا نرى الحسن فضيلة والقبح رذيلة؟ أو اعتقادية بمعنى أننا نرى الحسن إيماناً والقبح كفراً؟ وإذا كان الأمر كذلك فما دور الفطرة إذا كانت هى الأخرى لها فيهما درواً؟.

(١) "استعملت "حسن" و "قبيح" فى اللغة العربية لتدل على معنى جمالى فى الأشياء المحسوسة فيقال هذا حسن المنظر وذلك قبيح الصورة قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [سورة القصص (٢٥)] كما استعملت اللفظتان أيضاً للدلالة على أحكام خلقية، فقيل هذا فعل حسن، وذاك عمل قبيح .. ويرى بعض الباحثين أن استعمال اللفظتين أولاً كان يقصد به المعنى الجمالى الذى يستعمل فى الأشياء المحسوسة ثم انتقل بعد ذلك إلى الصفات الأخلاقية مثل مشين ومعيب". انظر "قضية الخير والشر فى الفكر الإسلامى"، د/ محمد السيد الجليند، ص ٣٠.

فإذا فرضنا أنهما يثبتان بالشرع نجد هناك أموراً ذات دلالة خلقية لا دور للشرع فيها كخجل الطفل مثلاً حينما يتعرى أمام الغير قبل ورود الشرع عنده بوجوب ستر العورة الذى يثبت بالشرع، ولكنه الحياء إذ هو خلق يمارسه الأطفال الذين لم يبلغوا بعد مبلغ العقلاء، ومن الذى وجه آدم عليه السلام هو وزوجه حواء لقطف ورق الشجر بغرض التستر عندما بدت سؤاتهما قبل أن يوحى إليهما بالمفاهيم الشرعية؟ إنها الفطرة، إذن للشرع دور وللأخلاق دور وللفطرة كذلك دور.

وإذا فرضنا إنهما يثبتان بالعقل الذى كرمه الله وألقى على كاهله مسئولية التدبر والتمييز بين ما هو حسن وبين ما هو قبيح، نجد للعقيدة دور، وما مقام الإحسان إلا دوراً بالغ الأهمية فى عقيدة المسلم وهو الإخلاص فى العبادة وأن نعبد الله كأننا نراه فالذى يحسن اعتقاده مقدم بلا شك عن غيره ممن لا يحسن عبادته ويخلص فيها لله.

وإذا فرضنا أن التمييز بين ما هو حسن أو قبيح مجبول فى طبيعتنا لن تعجزنا الإجابة؛ لأن للفطرة أيضاً دور بارز كالأمثلة السابقة إذا فرضنا أن الأخلاق فطرية، وحتى إذا فرضناها مكتسبة فالأمثلة على دور الفطرة واضح لا لبس فيه لاسيما أن الإنسان يولد على الفطرة، ويصير السؤال: هل يخضع التحسين والتقبيح لخمس مصادر يثبتان بهم وهم: الشرع والعقل والأخلاق والعقيدة والفطرة؟.

الحق عندى أنهما وصفان للفعل يخضعان لكل منظومة قيمة سواء أكان مصدر الإلزام فيها الشرع أم العقل أم عيرهما لاسيما أن مصادر القيم لا تتعارض مع بعضها البعض بل على العكس من ذلك هى فى الحقيقة

مكملة لبعضها وصدق رسولنا الكريم فى قوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" أى ما حسن منها وفى الوقت ذاته وجوب ترك القبيح.

والذى يترجح لدىَّ بقطع النظر عن آراء الإسلاميين فى هذا الشأن، فمناقشة آرائهم ليست محل الدراسة، بل عرض المشكلة من وجة نظرى، وهى أن قضية التحسين والتقبيح لا تقتصر على مصدر بمفرده لاسيما الشرعى مثلاً، فقد عاشت أمم قبل قرون عديدة سبقت الإسلام وكانت لها فضائل لا تقل قيمة عن أى فضيلة ذكرتها الأديان، والتاريخ يشهد بصحة ذلك، فلا نستطيع أن ننكر أن هناك حضارات بأكملها عرفت معنى الفضيلة وقننتها والتزمت بها ومعنى ذلك أنه ليس هناك تحسيناً عقلياً وآخر شرعياً، أو خلقياً وآخر فطرياً، وما يقال فى جانب التحسين يقال فى جانب التقبيح.

وإذا أجرينا مصادر ثبوت التحسين والتقبيح عليهما، وأخذنا على ذلك مثالاً بمشقة التكاليف الدينية، فأى عقل يستحسن أو يقبل صعوبة هذه التكاليف الشرعية من احتمال الجوع والعطش لو أخذنا الصوم مثالاً، أو الصبر على أداء الصلاة فى وقتها لاسيما أيام الحر الشديد أو البرد الشديد، أو تقبيل الحجر الأسود فى الحج، ففى الوقت الذى لا يصوغ العقل حسناً فى هذه العبادات والطاعات نجد أن الإلتزام بها هو ما يراه الشرع حسناً ويعتبر فى تلك الحال فى حد ذاته فضيلة، لأن الطاعة فضيلة، ومن ثم يعد الفعل حسناً ويصح أن نحكم عليه بأنه يستحق الثواب إن كان فعلاً شرعياً أو المكافأة إن كان أخلاقياً.

وأمثلة أخرى: الحروب، والقتل فى القصاص، وسبى النساء عند النصر كلها شرور، ولكنها واجبة شرعاً لنصرة دين الله يقول الحق سبحانه

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سـورة البقرة (٢١٦)].

ومثال آخر: المعقود عليها: فإننا نجد الشرع يبيح لها مباشرة الزوج قبل البناء وأن ينسب لها الولد إذا أنجبت، وترث الزوج فى حال وفاته فى الوقت الذى يقبح فيه العرف تلك المباشرة.

ومثال آخر: لا تصوغ الفطرة السليمة أكل الجيفة فى حين أن الشرع يبيح أكلها إذا خشى الفرد على نفسه من الهلاك ولم يجد غيرها لإبقاء حياته، والأمثلة على هذا النحو كثيرة، فمثلاً حينما يعفو ولى الدم عن القصاص فهذا تفضلاً منه فى الوقت الذى يحسن فيه الشرع القصاص؛ لأن فيه حياة للناس وإقامة العدل بينما هو فى حقيقة أمره يعتبر قتلاً.

إلا أن هناك أموراً يستحسنها الناس بينما تجد فيها الشريعة مشقة كالأمومة مثلاً وحب الولد فكل ما تلقاه الأم من مشقة تتقبلها بكل ترحاب حتى ترى مولودها، يقول المولى عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سـورة الأحقاف (١٥)].

ويقول الحق فى موضوع آخر: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سـورة لقمان (١٤)] أى مشقة فوق مشقة ومع ذلك فليس أسعد على قلب الأم من حمل رضيعها، أما فطام الرضيع وتأديب الولد وإن كان يبدو فى ظاهره شراً إلا أنه فى حقيقة الأمر فيهما مصلحة له.

والـذى أود الإشـارة إليـه أن لكـل مـن: "العقـل والشـرع والضـمير والعـرف" موضـوعه الخـاص فـإذا أردنـا أن نخصـص فـلا ينبغـى صـرف التحسـين أو التقبـيح عنـد إطلاقهمـا إلـى العقـل وحـده أو الشـرع وحـده ... إلخ. فالمعقولات أمر والأحكام الشرعية أمر آخر، كما أن أحكامها تغايران أحكام الضمير وأحكام العرف.

المبحث السابع

الثنائية فى المنظومة الاستدلالية

(المعقول والمنقول)

ما دمنا نتحدث عن الثنائيات فى الفكر الإسلامى، لا نستطيع أن نغفل هذا الثنائى لاسيما أنها أهم ثنائى استدلالى فى تاريخ الفكر الإسلامى سواء أكان فى مجال الفلسفة الإسلامية أم فى مجال العقائد، والخلاف بين الفلاسفة والمتكلمين من ناحية، وبين المتكلمين فيما بينهم من ناحية أخرى خلافاً مازال وسيظل قائماً إلى أن يشاء الله.

وهذا المبحث لم أهدف منه عرض أوجه استدلال الإسلاميين فى أهم المشاكل جميعاً بعد العالم والنفس ألا وهى مشكلة الألوهية قدر ما كان هدفى الوقوف على الثنائيات الوجودية التى اعتمد عليها الإسلاميين كالوحدة والكثرة، وقدم العالم وحدوثه، وثنائية الطبيعى وما فوق الطبيعى فى خدمة مباحثهم لاسيما فى الإلهيات، وتوظيف ثنائيات متقابلات أخرى كثيرة كالجوهر والعرض/ المادة والروح/ الهيولى والصورة/ المتناهى واللا متناهى/ الدور والتسلسل/ النفى والإثبات/ الكون والفساد/ الثابت والمتغير/ الخالق والمخلوق/ الأثر والمؤثر/ الوجود والماهية/ الحركة والسكون/ العلة والمعلول/ الدال والمدلول/ الأسباب والمسببات/ الغائب والشاهد/ البديهى والنظرى/ الواجب والممكن/ الوجود والعدم/ المطلق والنسبى/ البقاء والفناء، وغيرها من المفاهيم الدلالية والمصطلحات التى شحنت بها الفلاسفة والمتكلمون أذهاننا فى الوقت الذى لم يكن

فيه إثبات وجود الله من الأهداف القرآنية، يقول الحق سبحانه: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سـورة إبراهيم (١٠)] صدق الله العظيم، وعلى الرغم من ذلك كان للإسلاميين محاولات فى إثبات وجود الله سنعرض لمحات منها لنقف على كيفية توظيفهم لهذه المتقابلات السابقة الذكر: فالكندى مثلاً اعتمد فى دليله على مبدأ التضايف المنطقى حيث ذهب إلى أن الجرم محدَث اضطراراً لأن هناك من أحدثه وبما أن لكل محدِث محدَث فالعالم حادث لأن المحَدث والمحدِث من المضاف كما اعتمد أيضاً على ثنائى آخر وهو الوحدة والكثرة فى الموجودات، كما اعتمد أيضاً على فكره الشاهد على الغائب(١).

وإذا انتقلنا للفارابى نجده اعتمد فى دليله على وجود الله بثنائى استدلالى آخر وهو دليل الأثر على المؤثر من خلال الصعود من آثاره أى اعتماداً على مبدأ العلة والمعلول، وللفارابى طريق آخر "نرى فيه نزعة منطقية فى مذهبه فيما بعد الطبيعة، ونرى فكرة الممكن والواجب تظهر بدلاً من فكرة الحادث والقديم، فكل موجود فهو واجب الوجود أو ممكن الوجود ليس سوى هذين الضربين من الوجود"(٢). وقد اقتفى أثره ابن سينا فيما بعد فى فكرة تقسيم الموجود إلى الموجود الواجب والموجود الممكن إلا أنه فرق بين الوجودين فكل موجود إما واجب الوجود بذاته أو ممكن

---

(١) "رسائل الكندى الفلسفية" ١/٧٦ ، ٢٠٧.

(٢) "تاريخ الفلسفة فى الإسلام" دى بور ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، ص ٢٠٧ وانظر كذلك "الله والعالم والإنسان فى الفكر الإسلامى"، د/ محمد جلال أبو الفتوح شرف، ص ٣٤٩.

الوجود بذاته فوجود كل ممكن هو من غيره وذلك الغير إما واجب وإما ممكن والكلام فى ذلك الغير كالكلام فى الأول فوجب الانتهاء إلى واجب الوجود حتى لا يتسلسل ذلك إلى غير النهاية(١).

هذا بالنسبة إلى كبار الفلاسفة المسلمين أما المتكلمين ومنهم على سبيل المثال: إمام الحرمين حيث "استدل على وجود الله اعتماداً على التفرقة بين القديم والحادث واستحالة التسلسل فى الحوادث مما يلزم عنه افتقار العالم لمحدِث قدير مختار"(٢).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن العقيدة الدينية على أساس من النقل والعقل وبخاصة فى مجال مشكلة الألوهية وعلم الله بالجزيئات، نفهم من ذلك أن دور العقل عند شيخ الإسلام لم يستقل وحده حجة فيذكر أن "الأصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه"(٣) إلا أن للعقل دور مع النص فهو حينما استدل على وجوده تعالى استند على النقل أولا فى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور (٣٥)] ثم حكم بضرورة العقل أن لكل موجود حادث لابد له من محدث كما أن الممكن لابد له من موجد(٤). وما ذهب إليه شيخ الإسلام من تآخى العقل والنقل سبقه

---

(١) "الإشارات والتنبيهات" لإبن سينا ٤٤٧/٣..

(٢) "انظر "الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد" لإمام الحرمين الجوينى، ص ١٤ وما بعدها باختصار وتصرف.

(٣) "الرسالة التدمرية" لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٤.

(٤) م.س، ص ٢٠ باختصار وتصرف.

إليه أيضاً ابن الجوزى فيرى أن "مدار الأمر كله على العقل، فإنه إذا تم العقل لم يعمل صاحبه إلا على أقوى دليل، وثمرة العقل فهم الخطاب. وتلمح المقصود من الأمر، ومن فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالبانى على أساس وثيق[1]. ومعنى ذلك أنه إذا كان للعقل دور فإن دوره محصور فى فهم الأدلة الشرعية، وأن الثمرة المرجوه منه هو ذلك الفهم، ومعنى ذلك أيضاً أن الشرع مقدم على العقل على مذهب ابن تيمية وابن الجوزى قبله، وإن كنت أميل إلى هذا الرأى إلا أنه يبقى السؤال:

هل باستطاعة العقل إذن الاستقلال بادراك بعض القضايا الدينية لاسيما بعد انحصاره فى فهم الشريعة عند هؤلاء الأئمة؟.

الجواب:

من البديهيات عجز العقل عن إدراك الماورائيات، ومعنى ذلك أننا لا نستطيع التدليل بالعقل على بعض قضايا الدين لاسيما الإلهية منها وهذا أمر يحزم به الإسلاميين جميعاً فلاسفة ومتكلمين كإثبات وجود الله ووحدانيته مثلاً لأن مرجعه الآيات القرآنية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة فصلت (٥٣)] التى اعتمد عليها الفارابى فى استدلاله على وجود الله، وكقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء (٢٢)] التى اعتمد عليها المتكلمون فى تدليلهم على وحدانيته تعالى بما يسمى عندهم ببرهان التمانع وغيره الكثير من الآيات الشريفة،

(١) "صيد الخاطر" للإمام أبى الفرح بن الجوزى، ص ٢١١.

هذا فضلاً عن أن المتكلمين وقفوا مكتوفى الأيدى أمام بعض صفاته تعالى والتى يلقبونها بالصفات السمعية كالسمع والبصر والكلام ولم يدلوا بدلوهم فى إثباتها عقلاً كما أنهم افترقوا أمام الآيات المشتبهات إلى فرق وطوائف عديدة لا طائل من ورائها.

هذا بالنسبة إلى بعض القضايا الإلهية أما بالنسبة للنبوات فلا نستطيع أيضاً إثبات صدقه (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) بالعقل لأن صدق الرسول متوقف على المعجزة، والمعجزة أمر خارق للعادة لا تخضع لمنظومة العقل والمعقول بأى حال من الأحوال ونحن فى زماننا هذا لم نشاهد هذه المعجزات إذن العقل ليس سبيلاً لإثبات النبوة، وإنما يبقى لنا طريقاً واحداً ألا وهو التواتر وصدق من قال: "لولا الإسناد لقال فى الدين من شاء ما شاء" فما بين أيدينا من القرآن وهو المعجزة المستمرة إلى أن يشاء الله، وما بين أيدينا كذلك من أحاديث نبوية إنما أتت إلينا عن طريق التواتر وكذا إثبات نبوته عليه السلام، ولذا نؤمن بالقرآن مثلنا فى ذلك مثل من عاصر النبى ومن تصفح القرآن يثبت له أنه حق فى ذاته وحق لمن درسه فكما صدقنا برسول الله صدقنا كذلك بالقرآن.

بقى لنا قضية هامة وهى إثبات وجوده تعالى إذ هى القضية الأم فى الدين وفى جميع الأديان على مر العصور التى تحتاج لدليل عقلى، ومن رأفة الله بنا وهبنا الفطرة من ناحية والعقل للتدبر فى أثر صنعته من ناحية أخرى وحتى هذه القضية ليست قضية دينية بقدر ما هى قضية وجودية لم ينكرها أحد حتى المشركين لم يجحدوا أثر الصنعة دليلاً على الصانع وإنما جحدوا بوحدانيته تعالى تلك القضية التى اعتمد فيها الفلاسفة والمتكلمون على الدليل الشرعى وليس العقلى كما أشرت

منذ قليل، وحتى الأقيسة العقلية التى وردت بالقرآن الكريم لا تعتبر دليلاً عقلياً بل هى دليلاً نصياً يهدى العبد لطريق آخر غير طريق السمع يستدل به بنفسه لكى يطمئن قلبه فقط، وهو تقدير من الله سبحانه وتعالى لعقل الإنسان ليس الهدف منه استقلال العقل به بمفرده.

خاتمة البحث

قد نتساءل عن الحكمة من وجود بعض الأشياء فى الكون فلا نهتدى إليها سبيلاً، كما نتساءل عن الحكمة من فرضية بعض الأحكام – شرعية كانت أم عقدية – فلا نعرفها، إلا أننا لا نتساءل عن حتمية الإدارة الكونية فى هذه الأشياء، وعن حتمية الإرادة الشرعية فى وجوب التزامنا بفرضية هذه الأحكام.

والثنائية إرادة كونية بثها الخالق الحكيم فى الكون كله، ولأن حكمته تعالى اقتضت هذه الثنائية فى جميع الموجودات فقد هدانا الحق سبحانه للحكمة منها وهى معرفتنا بوحدانيته تعالى، لأنه بالنظر الصحيح فى خلق هذه الثنائيات يدرك العقل مخالفتها للخالق العظيم، لأن الخالق بلا شك لا يشبه المخلوق بأى حال من الأحول.

وهذا البحث كان محاولة متواضعة لبيان هذه الثنائيات فى كل ما فى الكون أرضاً وبحراً وسماءاً، إنساناً وحيواناً ونباتاً وجماداً، وذلك تصديقاً لقول الحق سبحانه فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم فيما يختص بذكر هذه الثنائيات فى الكون.

وشئ هام آخر أود الإشارة إليه، أنه بالنظر إلى الأحكام نجد ثنائية فى الحكم الأخلاقى بأن نحكم على هذا الفعل بأنه خير أو شر، حسن أو قبيح، كما أننا نجد ثنائية فى الحكم الشرعى بأن نحكم على هذا العمل بأنه حلال أو حرام، مكروه أو مستحب، وكلها أحكام ثنائية، وتمضى بنا هذه الثنائية فى الأحكام إلى أن نأتى إلى أهم قضايا العقيدة وهى إثبات وحدانيته تعالى فتقف هذه الثنائية ونجد أنفسنا أمام ثنائية الأدلة الموصلة للحكم بوجوده تعالى ووحدانيته كدليل الأثر على المؤثر، والشاهد على

الغائب، ودليل السببية (الأسباب والمسببات)... إلخ. إذن كل المجالات نجد فيها ثنائية فى الحكم إلى أن تقف هذه الثنائيات عند الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا ثانى له ولا شريك ولا ند، المنزه عن الزوجية والولد وهو الغاية القصوى بل غاية الغايات تعالى الله علواً كبيراً.

أهم نتائج البحث

إن أهم ما أستطيع الوقوف عليه من نتائج من خلال دراستى لمبدأ الثنائية فى الفكر الإسلامى هى كالتالى:

(١) القرآن الكريم مصدراً أساسياً لتقرير مبدأ الثنائية فى الكون.

(٢) ربط الآيات القرآنية مبدأ الثنائية بالأمر بالتوحيد.

(٣) الثنائية واحدة من المسالك الدالة على وحدانية الله.

(٤) الثنائية كما تكون فى الموجودات الحسية تكون كذلك فى الأمور المجازية والمعنوية، كما تكون فى المفاهيم الخاصة بالعلوم الوضعية.

(٥) أهمية الأضداد فى حياتنا العلمية والعادية فبالضد تتميز الأشياء فإننا لا نفهم معنى النور إلى بعد أن ندرك الظلام ولا نفهم معنى العذوبة إلا بعد أن ندرك المالح وهكذا كل الأشياء.

(٦) الحكمة من الثنائية هو الاتزان فى الكون.

(٧) الثنائيات الموجودة فى الكون هى فى حقيقة الأمر تصديقاً لقول الحق سبحانه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات (٤٩)] وغيرها من الآيات.

(٨) الدارس للأحكام يمكنه الوقوف على النتائج التالية:

أ – ثنائية الحكم فى القضايا الخلقية والفضيلة ثابتة.

ب – ثنائية الحكم فى القضايا الشرعية.

جـ – ثنائية الدليل فى القضايا الاعتقادية والحقيقة ثابتة.

د – وحدانية الحكم الاعتقادى نظراً لوحدانية الله.

(٩) الثنائيات المتقابلات فى أسماء الله الحسنى فى حاجة إلى دراسة.

(١٠) موضوع ثنائية الجزاء مع وحدة الذنب فى حاجة إلى دراسة.

(١١) معظم القضايا الكبرى فى الفكر الإسلامى، قضايا ثنائية، وذلك كالوجود والعدم، الوجود والماهية، العلة والمعلول، الوحدة والكثرة، العقل والحواس، الخير والشر، التحسين والتقبيح، المعقول والمنقول، وغيرها من القضايا ذات الأهمية.

(١٢) أول خطيئة فى الكون كانت خطيئة ثنائية وهى خطيئة أدم وحواء حينما أكلا من الشجرة المنهى عنها.

(١٣) ذكر الأضداد فى القرآن الكريم له غاية تربوية حيث يبين الله سبحانه وجه الحق من خلال تقابل هذه الأضداد كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠)﴾ [سورة فاطر (١٩-٢٠)].

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى)

(١) الرسالة التدمرية فى التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر، تحقيق: سعيد اللحام (دار الفكر اللبنانى) بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

ابن الجوزى (الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ٥١٠ – ٥٩٧هـ)

(٢) صيد الخاطر، (دار الكتب العلمية) بيروت – لبنان.

ابن سينا (أبو على بن سينا)

(٣) الإشارات والتنبيهات، شرح نصير الدين الطوسى، تحقيق د/ سليمان دينا، (دار المعارف بمصر)، الجزء الثالث.

ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤هـ)

(٤) تفسير القرآن العظيم، علق عليه وخرج أحاديثه هانى الحاج (المكتبة التوفيقية)، الأجزاء: ٦/٨.

أحمد شاكر (العلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر)

(٥) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، (دار الوفاء) الجزء الأول، ط١١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

الجوينى (أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى الشافعى الملقب بإمام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨هـ)

(٦) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، تحقيق د/ محمد يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجى، (مطبعة السعادة بمصر) ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

دى بور (أ – ج – دى بور)

(٧) تاريخ الفلسفة فى الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة، (مكتبة النهضة المصرية).

الرازى (الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمى البكرى الرازى ٥٤٤-٦٠٤هـ)

(٨) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تحقيق عماد زكى البارودى، (المكتبة التوفيقية)، الأجزاء: ٢٢/٢٦/٢٧/٢٨/٣١.

الزمخشرى (الإمام محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى فى سنة ٥٢٨هـ)

(٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، (مطبعة مصطفى محمد)، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤هـ، الجزء الثالث.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ)

(١٠) تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تأويل القرآن، (دار الكتب العلمية) بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، الأجزاء: ٩/١١.

القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى)

(١١) الجامع لأحكام القرآن، راجعه وضبطه وعلق عليه د/ محمد إبراهيم الحفناوى، خرج أحاديثه د/ محمود حامد عثمان (دار الحديث) القاهرة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الأجزاء :٨/٩.

الكندى (فيلسوف العرب، ابو يوسف يعقوب بن إسحق الكندى)

(١٢) رسالة الكندى فى وحدانية الله وتناهى جرم العالم، ضمن الجزء الأول من مجموعة رسائل الكندى الفلسفية، تحقيق د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة (دار الفكر العربى)، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م).

محمد السيد (د/ محمد السيد الجليند)

(١٣) قضية الخير والشر فى الفكر الإسلامى، (طبع بمطبعة الحلبى) ط٢/١٩٨١هـ.

محمد شرف (د/ محمد جلال أبو الفتوح شرف)

(١٤) الله والعالم والإنسان فى الفكر الإسلامى (دار المعارف بمصر) سنة ١٩٧٥م.

فهرس تفصيلى

الموضوع